

خطاب صاحب الجلالة بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

تحتفل اليوم معي بالذكرى الخمسينية لعيد ميلادي، واذا كان هذا اليوم مناسبة لك للفرح والابتهاج، فهو مناسبة بالنسبة الي لأظهر نعمة الله علي، وفضله علي، لكونه جعلني مغربياً أماً وأباً.

انني شعبي العزيز، افتخر بمغربيتي وأعتز بها، ولا أعتقد يوماً من الايام، ولا ليلة من الليالي انني اصبحت أو أمسيت دون ان أفكر فيك، لجلب الخير اليك، ودفع كل خطر يمكنه ان يهددك، أو حتى ان يكون من شأنه أن يهددك.

خمسون سنة من المواطنة، الا ان التفكير في المسؤولية وتقويم هذه المسؤولية وهذه المواطنة، كل هذه الاحساسات بدأت سنة الف وتسعمئة وأربع وأربعين، لما كنت اذ ذاك شاباً في سن الخامسة عشرة، وكان أبي رحمة الله عليه، وهو يرى تقلب وجهي ونظري في الأرض وفي السماء، وفي خضم الاحداث التي عشناها تلك السنة، كأنه رحمة الله عليه، وهو يحس بهذه الاحساسات يوصيني دائماً : تريد تحرير بلدك ؟ تريد رقي بلدك ؟ اذن، اقرأ ثم اقرأ ثم أقرأ.

وحينما نلت شهادة الباكالوريا الثانية، سألني رحمة الله عليه : ماذا تريد ان تتبع من الدراسات في الجامعات ؟ كنت شغوفاً بالتاريخ، فقلت له : أريد ان أدرس التاريخ، فتعرض بكيفية صارمة لهذه الرغبة، مفسراً موقفه بما يلي : «ان التاريخ ستجد من يحرره لك، والقناطر من يمدها لك، والقنوات من يحفرها لك، والسدود من يشيدها لك، أما الدفاع عن بلدك قدماً بقدم، يوماً بعد يوم، فلن تجد الا نفسك ومعرفتك بالقوانين الدولية.». !

وهكذا كان، رحمة الله عليه، يهيئني حتى تكون، كما قلت آنفا، كل ليالي وكل ايامي كفاحاً في كفاح.

وبعد الجامعة، وبعد ان أقصي الديوان الملكي في ايام جوان، سطرت هذه الأصابع الضعيفة والمتواضعة الحظ الكبير من التقارير ومن الرسائل الملكية التي كان يوجهها محمد الخامس، طيب الله ثراه، الى الجمهورية الفرنسية.



وبعدما كتب الله علينا المنفى، حاولت جهد المستطاع أن أكون الكاتب، والحاجب، ومدير التشريفات، والمسلي، والحيسوبي لوالدي في ديار الغربة، وأظن أنني نلت هدفي، لأنه، رحمة الله عليه، في خطابه الذي ألقاه في يونيو سنة ألف وتسعمائة وسبع وخمسين حينما قلدني ولاية العهد، أظن أنه ذكر من جملة ما ذكر، كيف قمت بواجبي المتواضع الذي كان واجباً علي أن أقوم به الى جانبه، رحمة الله عليه، في المنفى[1]

ولم تمض الا سنوات قليلة حتى أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعلني في المنصب الذي أنا فيه، وحاولت شعبي العزيز منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا، أن أكون عند حسن الظن في تقويم ما اعوج وفي اعلاء ما كان منحدراً، وفي تسطير ما كان مؤملا، وفي تشييد ما كان مخططاً.

وسرنا جميعاً شعبي العزيز يداً في يد، تواجهنا العراقيل والصعوبات، بعض الأيام لا تبتسم لنا، ولكن معظمها تلاقينا بأزهار النصر، وعناق النجاح، فأظن أننا جميعاً خطونا وبلغنا أشواطاً.

ان أمامنا شعبي العزيز، الكثير، وما رأينا من مشاكل فذللناها، وحواجز فاجتزناها، الا الشيء القليل مما ينتظرنا جميعاً في المستقبل، لا لأن مستقبلنا لن يكون زاهراً كما كان في الماضي، ولكن المشاكل تشعبت وتضخمت وتجسمت، وأصبحت ذات وجوه لا ذات وجهين، ذات وجوه، فعلينا اذن كأولئك الرواد للقمر، ألا نكتفي بالنصف الذي يراه البشر من القمر، بل علينا أن نكون رواداً حتى نطوف بالقمر أي بالعالم، ونرى ونحلل ونبحث ذلك الوجه من القمر الذي يكون دائماً مظلماً، والذي يشكل نقطة الاستفهام بالنسبة للعلماء والبشرية.

في الأسبوع المقبل شعبي العزيز سأغادر المغرب للسفر الى منروفيا عاصمة ليبيريا لحضور مؤتمر القمة لملوك الدول الافريقية ورؤسائها[2]

بالطبع سأحضر هذا المؤتمر، شريطة أن يكون فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية حاضراً هناك، أما اذا تغيب فبالطبع سيكون حضوري من باب الحشو والاطناب، ذلك لأن الالتزام الذي يجب أن يلتزم به، أو القرار الذي يجب أن يتخذ، وصل الى حد من الأهمية والجسامة والمسؤولية لا يمكن أن يفصل فيه الا الند والند، أما اذا لم يكن هناك التساوي المطلوب في المستوى السياسي فسيكون سفره بدوني أو سفري دونه، دون جدوى.

فماذا سيكون موقفنا في منروفيا شعبي العزيز؟ موقفنا من نفسنا تعلمه أنت وأنا، موقف المغاربة بالنسبة للمغاربة معروف، الصحراء مغربية وستبقى مغربية، ولن تكون الا مغربية، حتى نهرق آخر نقطة من دمنا على التراب المغربي.

ولكن هذا كله شعبي العزيز لا يكفي في المجال الدولي، بل يجب الاقناع، والاقناع يكون سهلا ويصبح في متناول اليد اذا كان الاقتناع، فاذا كان اقتناع المحامي موجوداً، أصبح اذ ذاك الاقناع سهلا، ولا سيما شعبي العزيز وأننا كلما سرنا، رأينا يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، أن حجم مشكلة الصحراء ونوعيتها بل حتى كنهها أصبح يتغير، ويتغير حتى بالنسبة للدولة الجزائرية، بل أصبح مشكل الصحراء كتلك البهلوانية أو المناورة التي أراد الساحر أن يقوم بها فأفلتت من يديه وأصبحت تكون خطراً عليه هو نفسه، وأصبح من الصعب عليه ان لم نقل من المستحيل أن يحصرها في حجمها الأول، وهذا غير خاف على المغاربة ولا على الجزائريين ولا على الأفارقة، فقضية الصحراء أصبحت مطية لقوات منها ما ظهر، ومنها ما بطن، منها ما هو في قارتنا، ومنها ما هو خارج قارتنا.

سأحاول أمام رؤساء الدول الأفارقة أن أظهر لهم أن المغرب لا يمكنه أن يظلم، حيث أنه سيكون هو الدولة الوحيدة المحررة التي ألزمت بالاستفتاء في القارة الافريقية، هناك وجوه أخرى للتعبير عن الارادة، الصحراويون عبروا بكيفيات شتى ومتنوعة وفي الزمان لا في لحظة واحدة، عن رغبتهم في الالتحاق بالوطن المغربي، وأصبح اذ ذاك الاستفتاء مظهراً ثانوياً من مجموعة المظاهر التي كونتها تلك الرقعة من ترابنا، وسيصبح المغرب هو الدولة الوحيدة التي تطلب منها الأسرة الافريقية أن تأتي بنموذج جديد، بطريقة جديدة للتعبير عن : هل تريدون أن تكونوا مغاربة أم لا؟.

فهذا وأيم الله ظلم وتعسف بالنسبة للمغرب كمغرب، وأيضاً بالنسبة للمغرب الذي لن تكن بينه وبين الدول الافريقية كلها الا علاقة الخير منذ قرون، فاذا نحن وجدنا في السودان، وجدنا لتلقين مذهب الامام مالك لأن السودانيين فضلوا أن يكونوا مالكيين عن طريق المغاربة عوضاً عن أن يكونوا مالكيين عن طريق المصريين، اذا كان جدنا المولى اسماعيل رحمة الله عليه أعطى احدى بناته للسيد أحمادو أديلو، رحمة الله عليه، في نيجيريا هل أعطاها له للحرب أم للتآخي؟ اذا كنا شاركنا بعلمائنا وأقلامنا في ادخال الاسلام والثقافة الاسلامية في الخلايا الحقيقية لافريقيا عن طريق تمبكتو أو السينغال، وما اليها، فهل كان ذلك غلطاً؟ لا، واذا قام المغرب في الأيام الأخيرة مرتين ليقف مع دولة من أعظم الدول الافريقية للحفاظ على وحدة ترابها وسيادتها، هل يعامل بلد مثل المغرب الذي تساكن مع الأفارقة في الماضي، وفي الحاضر كما يتساكن، هل يمكن أن يعامل مثل هذه المعاملة — الضيزى حسب تعبير القرآن.

هذا شعبي العزيز ما سأحاول أن أشرحه لأصدقائنا واخواننا رؤساء الدول الأفارقة، لا أقول اننا سنصل الهدف وهو هدف الاقناع، ثم الاقتناع في أول وهلة، لا، ولكن كيفما كان الحال المهم أن ملفنا فيه أهم الأسلحة وأقوى الأسلحة وأخطر الأسلحة ألا وهو الحق، والحق كل الحق، لذا علينا أن نبقى صامدين بأسلحتنا وارادتنا كمغاربة، وعلينا من جهة أخرى أن نكون مرنين حتى يمكننا أن نقنع فيقتنع لنا الخصوم.

هذه شعبي العزيز بعض الكلمات التي كنت أريد أن أقولها لك في هذا اليوم من تاريخي الذي أحمد الله فيه أنه خلقني مغربياً، وجعلني أفتخر وأعتز أن أكون مغربياً.

كلمات فيما يخص الماضي المشترك، كلمات فيما يخص الحاضر المشترك.

وقبل الختام وبما أن الله سبحانه وتعالى يحب العبد الملحاح — وهذا ورد في حديث شريف — سأكون ملحاحاً أمام ربي لأطلب منه أن يجعلني أتمتع في صحة جيدة وعافية بهذه المواطنة المغربية سنين وسنين وسنين، لا لأنانية ولا للتدخل فيما لا يعنيني فيما اذا كبرت، ولكن على الأقل لأكون من المشاهدين لما بذرنا جميعاً، وما رعيناه جميعاً وما أريد أن نأكل من حصيلته جميعاً.

ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن، ربنا انك تعلم أن هذا البلد بلد اسلامي له غيرته على دينك وملتك، يصوم شهر رمضان ويصلي الصلوات الخمس ويحج بيتك الحرام، ويؤدي الزكاة.

اللهم انك تعلم أن شهادته لم تكن قط شهادة خوف، أو شهادة مَنٍّ، بل كانت منذ اليوم الأول، منذ استقرار المولى ادريس بالمغرب شهادة مستمرة لا عوج فيها، ولا كذب، ولا نفاق.

اللهم فأيد هذا الشعب واحفظه بالسبع المثاني، واجعله دائماً سائراً في ركاب دينك، وعلى طريق وسنة



رسولك، واجعلنا جميعاً يا رب، في القريب العاجل نكون هنا في هذا الموقف وفي غيره من الحامدين الشاكرين، دائماً وأبداً، على ما أوليتنا من نعماء، وما أسديت الينا من خير، انك سميع الدعاء، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الاثنين 14 شعبان 1399 — 9 يوليوز 1979

---

(1) قال جلالة الملك المرحوم محمد الخامس: «ثم وجدت منه (أي من ولي العهد الأمير مولاي الحسن) أثناء المحنة الكبرى خير معين على اجتياز صراطها، وأكبر مساعد على حمل أعبائها. فكان البار بأخويه، الحاني على أسرته، يؤنسهم في وحشتهم، ويسليهم في ابتعادهم وغربتهم، ويجد اللذة في مرضاتهم، وينشط في قضاء حاجاتهم ويزيدهم بثباته وصبره إيماناً مع ايمانهم، كل هذا مع شديد حنينه إلى بلاده، وتتبعه لسير الأحداث فيها، ويقينه بأن العاقبة للمتقين، ولا عدوان الا على الظالمين» الخ.

(2) عدل جلالته في الأخير عن الذهاب الى منروفيا وحضور الاجتماع المشار اليه.